



جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية
المرحلة الثالثة
النثر العباسي

المحاضرة الخامسة / الجاحظ
استاذ المادة: م.م. ابراهيم خليل ابراهيم

٢٠٢٥ م ----- ٢٠٢٦ م

عمرو بن بحر الجاحظ:

تميّز العصر العباسي الأول بالثراء والرخاء والانفتاح على ثقافات مختلفة والإقبال على العلوم والآداب والتوجه إلى التأليف والتصنيف وقد نبغ رجال عظام في شتى المعارف رقدوا المكتبة العربية بتراث قيم تعاقبت الأجيال على الاحتفاظ به والإفادة منه، ويعد الجاحظ - وهو من رواد الأساليب الرفيعة في الكتابة - من أبرز هؤلاء الرجال العظام الذين خلّدوا أنفسهم بعطائهم الفكري من خلال الكنوز النافعة التي اوجدوها.

مولده ونشأته:

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، لقّب بالجاحظ لجحوظ عينيه، ولد في البصرة حوالي سنة ١٦٠ للهجرة وتوفي أبوه وهو صغير، وفي مدينته التي كانت آنذاك محج طلاب العلم والمعرفة.

تعلم مبادئ القراءة والكتابة في أحد كتاتيبها، وحينما أصبح يافعاً أخذ يتردد على حلقات العلم التي تعقد في المساجد ويتردد إلى سوق المربد ليتلقى الفصاحة من شفاه العرب الذين يفيدون إلى هذه السوق.

والى جانب طلب العلم والمعرفة كان يلتمس أسباب العيش عن طريق العمل، وقد قيل: أنّه كان يبيع الخبز والسمك على ضفاف نهر صغير بالبصرة يعرف بسيحان، ويبدو أنّ أمّه كانت في بادئ أمره تتولى الإنفاق عليه وقد روى أنها ضاقت به حين رأتة منهمكاً في اقتناء الكتب والجلوس إليها ساعات طوالاً، وطلب منها يوماً طعاماً فجاءته بطبقٍ مليءٍ بكراديسٍ أودعها البيت فقال: ما هذا ؟

قالت: هذا الذي تجيء به، فخرج مغتماً وجلس في الجامع ومويس بن عمران جالس، فلمّا رآه على هذه الحالة قال له: ما شأنك؟ فحدّثه الحديث فأخذه المنزل وقرب إليه الطعام وأعطاه خمسين ديناراً، فدخل السوق واشترى دقيقاً، وغيره، وحمله الحمالون إلى داره فأنكرت الأم ذلك، وقالت: من أين لك هذا؟ قال: من الكراديس التي قدمتها إليّ!

ولكن هذه الحالة لم تدوم طويلاً، إذ إنّهالت - عليه الهدايا والعطايا بعد إن اشتهر امره بين الناس وعرف بين كتّاب عصره بقلمه الرفيع وإنشائه البديع.

أخلاقه:

كان الجاحظ يمتلك شخصية قوية وإرادة فذة، وكان متفائلاً يبدو عليه السرور بسيطاً متواضعاً يخالط الناس جميعاً سواء كانوا أغنياء أو فقراء حريص على مواعيده وأوقاته وفياً لأصدقائه صادقاً في أقواله محب للنظام صبوراً متقناً لعمله ومتقانياً فيه، بعيداً عن الفوضى وما يقلق الإنسان متجنباً الحاسدين ولم يكن متزمتاً في رأيه.

تهكمه وتندرته:

عرف الجاحظ بالظرف والمفاكهة والتندر وأخباره في ذلك كثيرة نجدها مبنوثة في كتبه ورسائله وقد استطاع أن يجعل ظله خفيفاً عند الجميع مع أنه كان دميم الوجه قبيح الشكل جاحظ العينين.

لقد كان مريحاً مقتدراً على الضحك والاضحاك متمكن من تلطيف النفوس وإبعاد السأم والضجر عنها وتهذيبها والإنسان يتعلم بالضحك أكثر مما يتعلم بالتهجم والعبوس.

مؤلفاته:

كان الجاحظ نابغة عصره، لم يدع باباً من أبواب المعرفة إلا طرقه، وأصدق ما يوصف به أنه موسوعة أو دائرة معارف، فقد بلغت مؤلفاته ما يقارب المئة والستين ولعلَّ في كلام سبط ابن الجوزي مبالغة حين قال: أَلْفَ خمسين وثلاثمئة مؤلف بين رسالة في بضع صفحات وكتاب في بضعة مجلدات، وذكر أنه رآها في أول القرن السابع في مشهد أبي حنيفة في بغداد.

وهي مفيدة ونافعة بعضها رسائل أشبه ما نسميها اليوم بالبحوث مثل التربيع والتدوير ومناقب الترك وفخر السودان على البيضان وفي الجد والهزل وغيرها كثير.

نثره واسلوبه:

كان الجاحظ كاتباً بارزاً مشهوراً في جميع الأوساط في العصر العباسي، وبقيت شهرته إلى يومنا هذا، له طريقة خاصة عرف بها امتدت آثارها إلى آحاد بعيدة يتداولها الدارسون جيل بعد جيل حتى أصبحت فيما بعد مدرسة من مدارس الكتابة العربية، لها خصائصها، ومميزاتها، يعود إليها الباحثون في دراساتهم ينهلون منها المواد الأولى في الإنشاء العربي ومن أبرز صفات هذه الطريقة ما يلي:

أولاً: مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

فهو يقول: ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقام حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ويقسم

اقدار المعاني على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك
الحالات)).

ثانياً : البيان والابتعاد عن حوشي الكلام وغريبه ووضوح الدلالة:

فهو يقول: ((على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن
الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح
وافصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان انفع وأنجح)).

ثالثاً: الاستطراء:

وأراد به دفع الملل والسآمة عن القارئ وتفكيهاً للنفس وترويحاً لها
من التعب العناء وتنشيطاً لمتابعة القضايا والمسائل التي يتناولها بالبحث
والاستقصاء .

رابعاً : مزج الجد بالهزل والضحك والمرح لتحبيب القراءة والمتابعة
وشحذ الذهن وتجديد النشاط.

خامساً: العناية بالألفاظ وتركيب العبارات والجمل بلا تكلف أو تصنع:

فهو يقول: ((إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع
بعيدا عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في
القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة)).

سادساً : التلوين الصوتي أو الموسيقي:

الذي يعتمد على السجع يأتي عفو خاطر والمزاوجة الترادف
والجمل الاعتراضية.

ومن هنا يمكن القول: أنّ الجاحظ رُزِقَ اسلوبه القبول في القلوب،
لصدقه، و واقعيته، ودقته، وتوافقه بين اللفظ والمعنى، ولذلك اكتسب الخلود
واستحق أن يكون المعلم الأول في الإنشاء العربي.